﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الجاثية: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

إذا كان لله تعالى ملك السَّماوات والأرض وما بينهما؛ كان قادرًا على إحياء الموتى

لَمّا احتَجَّ بالله تعالى بكَونِهِ قادرًا على إيجادِكم وإماتتكم وعلى إحيائِكم بعد مماتِكم؛ عمَّم الدَّليل، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾؛ لتكون الآية تثبيتًا للدَّليل وتقوية له، فإنَّه إذا كان تعالى له ملك السَّماوات والأرض وما بينهما، وكان له القدرة عليها؛ ثَبَتَ كونُهُ تَعالى قادِرًا عَلى كُلِّ المُمكِناتِ، وثَبَتَ أنَّ حُصولَ الحَياةِ في هَذِهِ الذّاتِ مُمْكِنٌ؛ إذ لَو لَم يَكُن مُمكِنًا؛ لَما حَصَلَ في المَرَّةِ الأولى، فَيَلزَمُ مِن هاتَينِ المُقَدِّمَتَينِ كَونُهُ تَعالى قادِرًا عَلى الإحياءِ في المَرَّةِ الثّانِيَةِ[1].

وأيضًا لمّا دلَّ على قدرته تعالى على الإعادة بهذا الدَّليل الخاصِّ، الَّذي تقديره: فالله الَّذي ابتدأ خلقكم من الأرض على هذا الوجه قادرٌ على إعادتكم؛ عطف عليه دليلًا آخر جامعًا، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ الآيَةَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَخْسَرُ﴾: أصلُ (خسر) يدُلُّ على النَّقْصِ، فمن ذلك الخُسْرِ والخُسران، والفِعل: خَسِرَ يَخْسَرُ خُسرانًا، ومصدره: الخسارةُ والخُسرُ، والخاسِرُ: الَّذي وُضِعَ في تجارته[3]، وخَسَرَ؛ إذا نقصَ ميزانًا أو غيره، وخَسِرَ؛ إذا هلك[4]، والتَّخسيرُ: الإهلاك[5]، وقيل:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 680.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 103.
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خسر).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (خسر).
(5) الجوهريّ، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خسر).

الإبعادُ من الخير[1]، والمُرادُ بالخسارة في الآية: عدمُ الانتفاعِ بما يُرجى منه النَّفعُ.

2) ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: أصلُ (بطل) يدلُّ على ذهابِ الشَّيءِ وقِلَّةِ مُكْثِه ولُبْثِه، وسُمِّي الشَّيطانُ الباطل؛ لأنَّه لا حقيقةَ لأفعاله[2]، وأبطلتُ الشَّيء: جعلتُه باطِلًا، وأبطلَ فلان: جاء بكَذِبٍ، وادَّعى باطلًا[3]، ويأتي الإبطالُ بمعنى: إفساد الشَّيءِ وإزالته، سواء كان حقًّا أم باطلًا، والمُبْطِلُ: مَن يقولُ شَيْئًا، لا حَقيقةَ لَهُ[4]، والمبطلونَ في الآية معناه: الآتون بالباطل في مُعتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم؛ إذ الباطل ما ضادَّ الحَقَّ، والمقصود منه هنا الشِّركُ باللّه تعالى[5].

المَعْنى الإجْماليُّ:

يَقولُ اللّهُ تعالَى مُذكِّرًا بأهوالِ يومِ القِيامةِ: وللّهِ وحْدَه مُلكُ جَميعِ السَّماواتِ والأرضِ؛ فهو خالِقُهما والمتصَرِّفُ فيهما دونَ الدَّهرِ وغيرِه، مِمّا يَزعُمُ المشْركون أنَّ له تصَرُّفًا في الكَونِ، ويَومَ تَجيءُ القِيامةُ يَخسَرُ الكافِرونَ أصحابُ الأباطيلِ، فيَصيرونَ إلى النّارِ[6].

من تصرَّفَ في مُلكه بشيءٍ؛ كان قادرًا على مِثْلِه ما دام مَلِكًا

قال ابنُ أبي حاتم: (قَدِمَ سُفيانُ الثَّوريُّ المدينةَ، فسَمِعَ المَعافِريَّ يَتكَلَّمُ ببَعضِ ما يُضحِكُ به النّاسَ، فقال له: يا شَيخُ، أما عَلِمتَ أنَّ للّهِ يومًا يَخسَرُ فيه المُبطِلونَ؟ قال: فما زالت تُعرَفُ في المعافِريِّ حتى لحِقَ باللّهِ ﷻ)[7].

(1) الزّبيدي، تاج العروس: (خسر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بطل).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بطل).
(4) الرّاغب، المفردات، والزّبيدي، تاج العروس: (بطل).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 366.
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 100، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 173، والسّعديّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 778.
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 270.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبةُ الوصل بالواو:

تحتمل الواو في قولِه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أن تكون عاطفة لِما بعدها على جملة: ﴿ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، فيكون الكلام من تمام مقول القول، ومن عطف الدَّليل العام على الدَّليل الخاصِّ، وبيانه أنَّه تعالى لمّا ذكر تصرُّفه في النّاس بالإحياءِ والإماتةِ والبعثِ والجمعِ للمُجازاةِ؛ عطف عليه اختصاص الملك المطلق والتَّصرُّفِ الكليِّ في السَّماوات والأرض، وفيما بينهُما بالله ﷻ، فجاء العطفُ على طريق التَّرقّي في الدَّليل والقطع فيه، أو يكون عطف الجملة بمنزلة الدَّليل على أنَّه تعالى هو الَّذي يحيي، ويميت، ويجمع الخلقَ يوم القيامة، فكأنَّ هذه الآية دليل لِما قبلها[1]، ويحتمل أن تكون الواو استئنافيَّة، فلا تكون جملة: (للّه مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ) من مقول القول، وتكون الجملةُ حينئذٍ اعتراضًا بقصد التَّذييل لقولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾[2]، أي: لِما في جملة التَّذييل من معنى عموم القدرة على التَّصرُّف في ملك الله تعالى، والمعنى على الوجهين متقارب.

تنوُّع الأدلَّة على قدرة الله على إعادة الخلقِ وجمعهم يوم القيامة

نوعُ اللّام في قوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾:

حرفُ الجرِّ اللّام في قولِه: ﴿وَلِلَّهِ﴾ للملك، أي: ملك السَّماوات والأرض ملك للّه، ففيه تقرير ملكِه تعالى؛ لِما في السَّماوات والأرض، ويحتمل أن تكون اللّام للاختصاص، والمعنى ملك السَّماوات والأرض مختصٌّ باللّه تعالى.

مُلكُ السَّماوات والأرض شأنُ الله وحده دون غيره

غرضُ تقديم ﴿وَلِلَّهِ﴾ على ﴿مُلْكُ﴾:

أفاد تقديم المسند على المسند إليه في قولِه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 74، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 318، والآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 153.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 366.

تقديمُ المسند على المسند إليه قد يفيد القصر الحقيقيَّ أو الإضافيَّ

﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الحصرَ، أي: لله وحده لا لغيرِه ملك السَّماوات والأرض؛ ليفيد الحصر تخصيص الملك المطلق بالله، وأفاد التَّخصيص ردَّ معتقدِ الكافرين من خروج تصرُّف غير الله تعالى في بعضِ ما في السَّماوات والأرض، كقولهم في الدَّهر[1].

بلاغةُ اختيارِ مفردة ﴿مُلۡكُ﴾ على (خلق):

من ملك شيئًا؛ صحَّ له التَّصرُّف فيه

لمّا كان المراد بيان اختصاص تصرُّفِه تعالى في السَّماوات والأرض، وفي جميع خلقِه؛ عبَّر بلفظ ﴿مُلۡكُ﴾؛ لأنَّ من ملك شيئًا؛ صحَّ له التَّصرُّف فيه، وعبَّر بلفظ ﴿مُلۡكُ﴾ دون أن يقال لله خلق السَّماوات والأرض؛ لأنَّ المِلكَ هو المتصرُّف بالأمر والنَّهي على سبيل القوَّة والتَّولّي والتَّملُّك[2]، فكان التَّعبير بالملك أوفق بالمقام؛ لأنَّ الكلام سيق على سبيل الدَّليل في بيان قدرة الله تعالى، وتصرُّفه المطلق في الإحياء والإماتة وجمع النّاس يوم القيامة.

معنى التَّعريف في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

التَّعريفُ في لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ للعهد الذِّهنيِّ، فإنَّ السّامِعَ يَستحضرُ عند سماع هذين اللَّفظَين المعنى المُتبادِرَ، وهو السَّماءُ الَّتي تَعلونا، والأرضُ الَّتي نعيشُ فيها.

بديعُ الطِّباقِ بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

من ملك السَّماوات والأرض ملك ما بينهما

في الجمع بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ طباقُ المقابلة، ونكتة الطِّباق هو أنَّ الإخبار عن ملك الله تعالى لهما بطريق الجمع بينهما، مؤذن بظهور ملكِه تعالى وسعتِه، ويلزم من الجمع بين السَّماوات والأرض أن يكون ما بينهما ملك لله تعالى كذلك.

مناسبةُ الوصل بالواو:

أفادت الواو في قولِه: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ العطف على قولِه:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 366.

(2) الرّاغب، المفردات: (ملك).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾، ومناسبة العطف هو أنَّه لمّا جرى ذكر اختصاص الملك المطلق والتَّصرُّف الكلّي بالله تعالى وحده، وكان من تصرُّفه في ملكِه أن يحشر النّاس يوم القيامة؛ لمقتضى حكمتِه وظهور عدلِه؛ ناسب أن يعقبه بإنذار الَّذين أنكروا يوم الحشرِ من سوء عاقبتِهم وظهور خسرانِهم فيه.

يحلو العطف عند التَّغاير في الذَّوات والاشتراك الموضوعيّ والأسلوبيّ

بلاغةُ العدول عن اسم القيامة إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾:

عدل عن ذكر يوم القيامة مع تقدُّم ذكرِه ووجاز لفظِه بالنِّسبة إلى قولِه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ لأنَّ السّياق في معرض المبالغة في تهويل الموقف؛ لتنبيه المنكرين للحشرِ، فعبَّر بالفعل المضارع ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ لتصوير الحالة ذلك اليوم وبيان رهبتِه، كما أنَّ في التَّعبير بالسّاعة؛ إشعارًا بسرعة قيامها ونفاذها وبيسر الأمر عند الله، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ﴾ [النّحل: 77]، وفيه إيماءٌ كذلك إلى سرعة خسرانِ المبطلين وعدم إمهالِهم، بمعنى: أنَّ حسابهم وحساب الخلائق جميعًا يوم القيامة، إنَّما يكون في ساعة، ففيه من بيان عظيم قدرة الله وجليل أوصافِه ما فيه.

من عظيم قدرة الله أنَّ حساب الخلائق جميعًا يوم القيامة إنَّما يكون في ساعة

نكتةُ تقديمِ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ على فعل ﴿يَخْسَرُ﴾:

لمّا تقدَّم الظَّرف على الفعل في قولِه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أفاد الحصرَ، بمعنى الخسران التّام ينحصر في ذلك اليوم؛ لأنَّ كلَّ خُسران عندَه في ذلك اليوم كَلا خُسران[1]؛ لأنَّ في تقديم الظَّرف وتأخير الفعل ﴿يَخْسَرُ﴾ دلالةً على أنَّ المراد من دلالة الفعل ﴿يَخْسَرُ﴾ الفرد المطلق، أي: الخسران التّامّ الكامل يكون في ذلك الوقت، كما أنَّه لا تظهر خسارة المبطلين، ولا تبين على الحقيقة إلّا يوم تقوم السّاعة، وفي تقديم الظَّرف وتأخير الفعل

لا تظهر خسارة المبطلين ولا تبين على الحقيقة إلّا يوم تقوم السّاعة

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 21، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 440.

وفاعلِه اهتمامٌ بالظَّرف واسترعاء للأسماعِ؛ لِما يرد من وصف أحوالِ ذلك اليوم[1]، وفي التَّقديم كذلك رعاية للفاصلة ومناسبة رؤوس الآي.

بلاغةُ الإسنادِ المجازي:

قـيـامُ السّـاعـة يباغت الخلق، ويفاجئهم

جاء قوله تعالى: ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ على طريق المجاز بإسناد الفعل ﴿تَقُومُ﴾ إلى ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾، والمراد يقيم الله السّاعة، ونكتة إسناد الفعل إلى السّاعة بيان سرعة قيامِها وسرعة الحساب فيها، وفي الإسناد تهويلٌ لذلك اليوم؛ لما يقتضيه الإسناد من المباغتة في وقوعِها والرُّعب الحاصل من المفاجأة بها، فإسناد القيام للسّاعة مجاز عقليٌّ علاقته الزَّمانيَّة، ويحتمل أن يكون الإسناد على طريق الاستعارة بتشبيه السّاعة بالإنسان، ثمَّ أسند إليها القيام، فيكون قيام السّاعة مشبَّهًا بالإنسان القائم، الَّذي هو على كمال الاستعداد، وقد تأهَّب للعمل بقيامِه، والمقصود أنَّ السّاعة توجد، وتتحقَّق تحقُّق القائم الَّذي هو على كمال تمكُّنه وتمام أمره النّاهض بأعباء ما يريد[2].

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾:

(الـ) في لفظ ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ في الأصل للعهد، أي: السّاعة الَّتي هي ساعة القيامة، وصار لفظ السّاعة علمًا بالغلبة على وقتِ الحشرِ والحساب[3].

دلالةُ تكرار لفظ يوم:

التَّـكـرارُ لتأكيد مضمون الخبر

كرَّر لفظ يوم مضافًا إلى الظَّرف في قولِه: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾، ولمّا كان التَّنوين فيه عوضًا عن المضاف إليه المحذوف بتقدير: يوم إذْ تقوم الساعة يخسر المبطلون؛ كان الظَّرف مكرَّرًا على سبيل التَّأكيد،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 366.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 104.
(3) الخطيب الشّربيني، السّراج المنير: 3/ 177، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 66، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 62.

وفائدته تأكيد مضمون الخبر وتهويل ذلك اليوم[1]، والمقام مقام تهويل - كما تقدَّم - ويحتمل أن يكون لفظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلًا من الظَّرف في ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾، وبيانه أنَّ اليوم هو الوقت، والمعنى: يومَ إذْ تقوم السّاعة، ويحشر الموتى فيه يخسر المبطلون، فيكون قد قصد الكلام على جزء من ذلك اليوم بعد أن ذكرَه كلَّه؛ لأنَّ يوم تقوم السّاعة يوم متَّسع مبدأه من النَّفخة الأولى، فيكون قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل البعض من الكلِّ بمعنى وقت من اليوم والعائد مقدر، وعبَّر في بدل البعضِ باليوم دون الوقت؛ للإشعارِ بأنَّ ظهور خسرانهم إنَّما يكون يومَ حشرهم، فكان بدل البعضِ هو المقصود بالنِّسبة[2].

نوعُ التَّنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

التَّنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوين عوضٍ عن جملةٍ ملحوظةٍ من السّياق، والتَّقدير: يومَ إذْ تقوم السّاعة، وهذا من براعة الإيجاز.

بلاغةُ الاستعارة في لفظ ﴿يَخْسَرُ﴾:

لمّا كان ما قاله الكافرون باطلًا من أنَّه ليس من حياة إلّا هذه الحياة الدُّنيا، وأنَّ ليس يهلكهم إلّا الدَّهر، وكانت حجَّتهم في إنكار البعث باطلةً؛ عبَّر بلفظ الخسران الَّذي هو مستعار لحصول الضُّرِّ لمن أراد النَّفع، كخسارة التّاجر الَّذي أراد الرِّبح، فذهب رأس المال[3]، فقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، ومورد الاستعارة هو أنَّ الحياة في هذه الدُّنيا كأنَّها رأس المالِ، والتَّصرُّف فيها لطلب سعادة الآخرة يَجري مَجْرى تَصَرُّفِ التّاجِرِ في رأسِ المالِ لِطَلَبِ الرِّبْحِ، والكُفّارُ قَد أتعَبوا أنفُسَهُم في هَذِهِ التَّصَرُّفاتِ، وما وجَدوا مِنها إلّا الحِرمانَ والخِذلانَ، فَكانَ ذَلِكَ في الحَقيقَةِ نِهايَةَ

الحياةُ الدُّنيا رأس مال الإنسان لطلب سعادة الآخرة

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 153، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 366.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 109، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 8/ 453.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 213.

الخُسرانِ[1]، كما يشعر اللَّفظ بأنَّ الكفّار كانوا يظنّون أنَّ الرِّبح والخسارة إنَّما يكون في هذه الحياة الدُّنيا، فردَّ الله تعالى عليهم بأنَّ هناك حياةً أخرى سوى الحياة الدُّنيا هي الَّتي يكون فيها على الحقيقة الرِّبح والخسران، ويشعر التَّعبير بالخسران بحسرة المبطلين وندمِهم وحزنِهم على ما قدَّموا بعدَ أن تبيَّن لهم خسارتَهم، ففيه إشارة إلى العذاب النَّفسي للمنكرين البعث يوم القيامة؛ لأنَّهم ما حصَّلوا من إنكارِهم إلّا الخسران، ولو تأمَّلوا، وآمنوا؛ لربحوا، وفي التَّعبير بالخسران إشارةٌ كذلك إلى أنَّه يجب الرُّجوع إلى الله قبلَ أن يجيء أمرُه وقضاؤه بالموت والعذابِ، فإنَّه ليس بعده إلّا الأحزانُ، فكان اختيار لفظ ﴿يَخۡسَرُ﴾ هو الأقضى لحقِّ البلاغة في هذا المقام، ولو قيل: ويومئذٍ يُعذَّبُ المبطلون، أو يعاقب المبطلون؛ لَما ناسب سياق اللَّفظ وسباقه.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿يَخۡسَرُ﴾:

أفاد التَّعبيرُ بصيغة المضارع تجدُّد خسارة المبطلين واستمرارَها يومَ الحشرِ، بحيث لا انفكاك لهم عنها، فهُم يخسرون وقتًا فوقتًا، واستمرار الخسارة وعدم توقُّفها عذاب أليم شديد إضافةً إلى العذاب الموعود.

نكتةُ تعلُّق الخسران بالمبطلين:

لمّا كان المبطل هو الغارق في الباطل المتمسِّك به، وهو إنَّما يتمسَّك بالباطل طمعًا في الرِّبح؛ أفاد قوله: ﴿يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أنَّ خسرانه بسبب تمسُّكه بالباطل وإغراقِه فيه، كما أفاد خيبته في أنَّه جوزي بالخسران على خلاف ما كان يتأمَّل من تحصيل الرِّبح.

خيبةُ الكافر في مجازاتِه بالخسران على خلاف ما كان يتأمَّل من تحصيل الرِّبح

براعةُ ترتيبِ خسارة المبطلين على قيام الساعة:

لمّا كان من شأنِ قيام السّاعة أن ينتهي فيه النّاس من المشقّات

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 680.

والمكروهات، وكأنَّ قيام السّاعة بحدِّ ذاتِه فوز؛ لأنَّ فيه خلاصًا من عذاب القبر للكافرين؛ رتَّب عليه خسران المبطلين، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، ففاجأهم بما لم يكن في حسبانِهم، بتتابع الخسران بعد الخسران، ففيه مبالغة في العذاب والأذى النَّفسي فوق العذاب الجسدي.

تتابعُ الخسارات للكافرين يوم القيامة

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾:

عبَّر بلفظ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ دون أن يقال: (يومئذٍ يخسر الكافرون، أو يخسر المشركون)؛ لأنَّ اللَّفظ منظور فيه لحالِهم في الواقع؛ لأنَّهم أنكروا البعثَ مع انتفاء شبهة إنكار البعثِ بما ذكره من الدَّليلين في قولِه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فلمّا انتفت شبهة إنكار البعثِ؛ كان إنكارهم باطلًا، كما أفاد التَّعبير بلفظ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أنَّ كلَّ ما قاله منكرو البعث باطلٌ، وأنَّ حجَّتهم باطلة، فتنوَّع باطلهم، وأُغرقوا فيه مع ظهور الحقِّ وانتفاء الشُّبهة.

كـلُّ حـجـجِ منكري البعث باطلة

دلالةُ التَّعبير باسم الفاعل ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾:

﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ اسم فاعل بمعنى الدّاخلين في الباطل، أي: العريقين في الاتِّصاف بالباطل المتمسِّكين به على الإطلاق، حتَّى آثروا الباطل على الحقِّ، فلا يأتي منهم إلّا الباطل، والمبطل صاحب الباطل، الَّذي يأتي به، ويتمسَّك به، ففي التَّعبير بالمشتقِّ إشعارٌ بأنَّ من ينكر البعثَ؛ كان كمن صار مغرقًا في الباطل بحيث لا يأتي منه إلّا الباطل في قولِه وفعلِه؛ تعظيمًا لشأن الإيمان بالبعثِ يوم القيامة.

من ينكر البعثَ كمن صار مغرقًا في الباطل، فلا يـأتي مـنـه إلّا الباطل

معنى تعريف ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وجمعه:

(الـ) في قولِه: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ للاستغراق، والمعنى: يومئذٍ يخسرُ جميعُ المبطلين، وجاء اللَّفظ بصيغة الجمع للإشعار بكثرة المبطلين.

نكتةُ حذف مفعول ﴿يَخۡسَرُ﴾:

الـكـافـرون يخسرون كلَّ ما يفوز به المؤمنون يوم القيامة

جاء الفعل المتعدّي ﴿يَخۡسَرُ﴾ محذوفَ المفعولِ؛ لإفادة عموم الخسران، أي: إنَّهم خسروا رضوان الله تعالى ومحبَّته، وخسروا المنازل في الجنَّة، وخسروا ما فاز به المؤمنون، والمعنى خسروا كلَّ شيءٍ.

نكتةُ التَّلويح في قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾:

يـوم تـقـوم السّاعة يخسر المبطلون، ويربح المحقّون

في قولِه تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ دلالة لطيفة، فإنَّه لمّا جعل خُسران المبطلين كائنًا يومَ تقوم السّاعة؛ دلَّ بمفهومِه على مقابله، وهو ربح المحقّين كذلك، فيوم تقوم السّاعة يربح المحقّون؛ لأنَّ الحياة الدُّنيا تجارةٌ في المعنى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصف: 10][1].

(1) البسيليّ، نكت وتنبيهات في القرآن المجيد: 3/ 505.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"